50 قصة x 50 عاماً

«قصتي» محمد بن راشـ

كنتُ عازماً على تقديم قراءة شاملة لهذه السيرة الجليلة الفخمة لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، تتوقف عند جميع تفاصيلها وحكاياتها الخمسين، بالإشارة الخاطفة والإيماءة الدالّة، وتضع بين يدي القارئ الكريم خُلاصةً مركّزة لفكر سموه ومجالات نظره، وتجليات إنسانيته الرفيعة، لكنني يشهد الله حين وصلتُ إلى نهاية القصة السابعة التي تحدث فيها سموه عن إحساسه العارم بالفجيعة والفقد، لغياب والدته المغفور لها الشيخة لطيفة بنت حمدان آل نهيّان «أمّ دُبي»، وسيدة نساء زمانها خُلُقاً وسؤدداً، وكمالاً وتواضعاً ومحبة للخلق ومساعدة للناس، ورأيتُ الدموع تتقاطر من عيني سموه، وهو يذرفها غزيرة على ذكرى والدته، لم أستطع المضيّ قُدُماً فيما عزمتُ عليه، وعقدتُ العزم على أن تكون كلمتي هذه إضاءة لواحدة من أعمق ملامح الإنسانية في شخصية سموه، من خلال حديثه عن مُعلّميه الكبار وبعض اللحظات الإنسانية النادرة في سيرته الرائعة، ففروسيته وشاعريته وإنجازاته وقيادته للطلائع، وعزيمته الباسلة التي لا تلين ولا تعرف التردد، مبثوثةٌ في كل مكان ويعرفها القاصي والداني، حتى أوشكت أن تكون جزءاً من ثقافة الإنسان الإماراتي ونموذجاً وقدوة، لكنّ هذا الملمح الإنساني الساحر في شخصيته هو الوجه السريّ الرائع لكل فضائله ومناقبه، وهو النبع الفيّاض لشمائله الرقيقة وأخلاقه العالية، ويا لروعته وإنسانيته وهو يحكي بإحساس الابن البارّ بوالديه كيف نشأ في أحضان المغفور لهما الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، رحمه الله، وزوجه ورفيقة دربه ومؤنسة قلبه وروحه الشيخة لطيفة بنت حمدان، التي حملت معه أعباء الحياة، وكانت نِعمَ الزوجة والأم الرؤوم، وكيف أن والده الشيخ راشد، رحمه الله، وهو الفارس الشجاع قوي القلب الذي عاش عمره كله متنقلاً في ميادين الفروسية لم يستطع قلبه الوفيّ احتمال غيابها فأُجهش بالبكاء على ذكراها الطيبة وغادر الدنيا عام 1990م، وهو يحمل في قلبه عطور الذكرى لهذه السيدة الجليلة النبيلة.

رثاء أم

«مَنْ مِثْلُ أُمّي؟ مَنْ مِثْلُ لطيفة؟»، بهذه العبارة المفعمة بالحب الزاخرة بالمعنى كان صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد يختتم كل فقرة يرثي فيها أمّه ويستعرض فيها جزءاً جميلاً من حياته في ظلالها، فقبل ستةٍ وثلاثين عاماً وتحديداً في عام 1983م، غادرت هذه السيدة الجليلة هذه الدار الفانية، تاركةً وراءها من المواقف الخالدة والذكريات النيّرة والسيرة العاطرة ما يكشف عن طيبِ معدنها وأصالة أخلاقها، وعلى الرغم من مرور هذه السنوات الطوال، فإنّ ذكراها ظلت عميقة الحضور في قلب صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، فخصّها بثلاث قصصٍ من قصصه الخمسين، تأكيداً منه لعظمة الحبِّ الساكن في قلبه لهذه الأم العظيمة، وترسيخاً لمبدأ البرّ بالوالدين كقيمة دينية وأخلاقية عظيمة حثَّ عليها ديننا العظيم، تحدّث عن والده المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، رحمه الله، حديثاً نابعاً من حنايا القلب، باعتباره المعلم الأول لسموّه الذي تعلّم منه الأخلاق الرفيعة، لكنّه كان قبل ذلك أيضاً قد تحدّث حديثاً مؤثراً جداً عن حياة ومناقب جدّه المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم، رحمه الله، وكيف أنّه تعلّم منه القيمة الكبرى في حياته الإنسانية والسياسية، ألا وهي المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية، وهو ما عبّر عنه سموه بقوله: «غير أنّ أعظم إنجازاته كانت سيرته وعلاقته مع شعبه»، ثم يلخّص هذه العلاقة البديعة بهذه الجملة الإنسانية الفريدة المستلهمة من كتاب الله تعالى: «كان يحبهم ويحبونه»، وهي المعادلة التي ما زالت تحكم طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية في الإمارات منذ قيام الاتحاد، حيث غذّاها وقوّى شجرتها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيّان، طيب الله ثراه، يساعده على ذلك ويشدّ من أزره الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، رحمه الله، وها هي الإمارات ما زالت تنعم بهذه النعمة السابغة التي تتجلى في السياسة الحكيمة الرحيمة الحازمة التي يسير عليها حكام البلاد من أنجال الشيخ زايد، رحمه الله، وجهود صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

شخصيات نبيلة

لقد حرص صاحب السمو في هذه السيرة غير المكتملة على لفت نظر القارئ إلى لحظات الصفاء الإنساني والنبل الأخلاقي في الشخصيات التي يتحدث عنها مع الحرص على انتقاد جميع مظاهر التجبر والكبرياء التي تفتّحت عليها عيناه منذ طفولته وشاهدها في دولٍ أخرى، وبخصوص جده المرحوم الشيخ سعيد بن مكتوم، لم يحرص صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، على تقديم صورة باذخة للثراء لهذا الشيخ النبيل، بل قدّمه في سياق إنسانيته البسيطة العالية، فهو يذكر كيف كان هذا الشيخ الجليل يقوم قبل صلاة الفجر ويذهب إلى بئرٍ بعيدة ليحضر منها دلواً كبيراً من الماء كي يتوضّأ منه المصلون، ليُعقّب صاحب السمو الشيخ محمد على هذه الأخلاق الرفيعة بلغة لا تخلو من الفخر والتواضع بقوله: «أيّ إنسانٍ كُنتَ يا جدي! أيّ قوةٍ وأيّ طيبة ورحمة!»، مؤكّداً عظمة هذا النموذج الإنساني الذي يستمدّ جلاله وهيبته من نبله وتواضعه ومحبته للحق وخدمته للناس، وبعذوبة الفرسان الشجعان يؤكد صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد هيبة جده ونبله بقوله: «لم يحكم جدي بالخوف بل بالمحبة والرحمة»، ثم يبلغ صاحب السمو الشيخ محمد ذروة الروعة الإنسانية حين يصف اللحظات الأخيرة من حياة جده المبجّل فيقول: «أذكر يوم وفاته، كنتُ في التاسعة تقريباً، أسلم الروح بعد صلاة الفجر بقليل، كان والدي بجانبه، أذكر انتحاب النساء، وبكاءَ رجال لم أحسب أنهم يبكون، أذكر تنكيس الأعلام، وأذكر جموعاً غفيرة ودّعته إلى مثواه الأخير، أذكر الصورة التي انطبعت في ذهني عنه، قبل صلاة الفجر بمائه وطهوره عند صلاة الفجر ينتظر أبناء شعبه، علّمْتنا خدمة الناس يا أبا راشد. رحمك الله وجعل الفردوس مثواك».

وأنت يا سيدي «أبا راشد» أعلى الله منزلتك في القلوب التي تحبك وتعرف قدرك ونشأتك بين هذه القلوب الطاهرة النبيلة، فكنتَ أنت حظّنا الوافر من هذه العائلة الشريفة السليلة للمجد والإنسانية والفروسية ومحبة الناس وخدمتهم، وإنما أردنا بهذه الإضاءة اليسيرة لتاريخ جدكم أن يعرف الناس أنّ هذه الأخلاق العالية التي هي من طبعكم وشمائلكم إنما تحدّرت إليكم من تلكم الجبال الشامخات من آل مكتوم الصِيد الكرام.

درس عميق

وإنّ من عجيب ما وقع في هذه السيرة الذاتية الرائعة أنّ بناءها الفني يتسلسل مع مسيرة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، فبعد حديثه عن جده، رحمه الله، يعقد سموه قصة بديعة المغزى عنوانها «زيارةٌ إلى ملك الملوك»، هي في جوهرها تفصيل بديع لشخصية والده من جميع النواحي الأخلاقية والسياسية والإنسانية، لكنها تنطلق من حدث مفاجئ، هو زيارة سموه برفقة والده لإيران، للمشاركة في احتفاء إيران بمرور 2500 عام على تأسيس الإمبراطورية الفارسية، تحت رعاية شاه إيران الذي سمّى نفسه «ملك الملوك»، وجلس على عرشه عرش الطاووس في سلوك صوّره صاحب السمو الشيخ محمد بمنتهى الذكاء والحصافة، واعتبره مناقضاً للطبيعة الإنسانية للحاكم التي يجب أن تكون قريبة من شعبها، وتصهر المسافة بين الراعي والرعية، ليكون ذلك واحداً من أعمق الدروس التي تلقّاها سموه في تلك المرحلة المبكرة من عمره المديد بإذن الله، وقد وصف سموه مظاهر البذخ الهائلة التي ظهرت في ذلك الاحتفال الاستثنائي، لكنه في الوقت نفسه وصف كثيراً من مظاهر الفقر المدقع الذي كان يرزح تحته الإنسان الفقير في إيران، وكيف أن هذه السياسة المفتقرة إلى الحكمة والرحمة هي التي أودت بهذا الشاه إلى ذلك المصير المرعب، حين لفظته جميع دول العالم، وتمت الإطاحة بعرشه بعد فترة وجيزة لم تتجاوز السنوات الثماني من ذلكم الحفل الخارق للمألوف، ليقتنص صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد من هذا الموقف ونظائره، أول دروس الحكمة والبصيرة السياسية، وليتفرغ بعد ذلك لرسم صورة وضيئة بهيجة لوالده رحمه الله، ذلكم الباني الأول لأمجاد دبي، وذلكم الزعيم المؤثِر مجد الوطن على مجده الشخصي، حين وضع يده في يد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وصنعا معاً هذا الوطن النموذج الذي غدا واحة عطاء وسلام وأمن ورخاء، وهو ما عبّر عنه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بقوله تعقيباً على ذلك الحفل الأسطوري: «شكّل لي ذلك الحفل الأسطوري في سنّي الصغيرة وقفة مهمّة مع نفسي، ودرساً لن أنساه ما حييت، أكبر درس هو المقارنة بين طريقة الشاه في الحكم وطريقتنا في دبي والإمارات على اختلاف حجم البلدين»، ثم يقارن باعتزاز بالغ بين الفارق الهائل في سياسة الحكم بين الشاه ووالده الشيخ راشد فيقول: «شاهدتُ لمحة من أسلوب ملك الملوك وابتعاده الشديد بحياته وقصوره الضخمة عن عموم شعبه، وكنتُ أشاهد والدي يبدأ يومه في الصباح الباكر بجولته الصباحية مع الناس ومتابعة المشاريع بنفسه مع العمال، واستقباله عامة الناس في مجلسه المفتوح وتناوله غداءه مع ضيوفه، وقد خصّص لنفسه مكتباً متواضعاً عند نقطة جمارك خور دبي، يطلّ على رصيف المرفأ، كي يتمكن من مشاهدة النشاط في الخارج، وكان متواضعاً جداً في سلوكه، لدرجة أنّ الزوار في المكتب كانوا يظنون أنه مجرد موظف، حتى إن مهندسي المشاريع كانوا يسمّونه «الفورمن»، أي مراقب العمال، لكثرة تردده عليهم ومتابعته اليومية لعملهم وأحوالهم»، ومن قلب هذه المقارنة بين هذين النموذجين المتناقضين في الحكم وإدارة شؤون البلاد، يرتفع صوت صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، بهذه الأبيات الشعرية الخالدة لشاعر قديم يُذكّر الإنسان بمصارع الغابرين، ويلفت نظره إلى أنه يسير على الدرب نفسه، فلا داعي لهذا الغرور والطغيان:

أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ
وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ
وأين ما شاده شدادُ في إرمٍ
وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ
وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ

العيش في الصحراء

وبإحساسٍ إنساني فريد، يتابع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد حكايته مع الحياة من خلال القصة الثالثة التي وضع لها عنواناً لا يخلو من الغرابة وجذب الانتباه هو «النوم مع العقارب»، قصّ فيها قدراً رائعاً من مواصلة التربية تحت إشراف والده الشيخ راشد، رحمه الله، الذي أرسل به إلى الصحراء كي يتعلم قنص الطيور وصيد الغزلان، ولا ينسى وهو الذي بلغ هذه المرتبة العالية في الحكم والسياسة والفروسية والمجد، لا ينسى شيخه الأول ومعلمه متجعد الوجه معروق اليدين الشيخ حميد بن عمهي، من شيوخ المناصير، حيث عاش معه سموه الليالي الطوال وهو يتدرب على فنون العيش في الصحراء واقتناص ما تجود به طبيعتها الشحيحة من ظبي أو أرنب، لكنه بجانب ذلك كله كان يعاني كل ليلة لسعة منتظمة لعقارب تدبّ إليه ليلاً وهو متدثر بفراشه من برد الصحراء القارس، وكان يظن أن ذلك يأت بطريق المصادفة، حتى أثبتت له الأيام أن معلّمه هو الذي كان يرسل تلك العقارب الصغيرة كي تلدغه فيكتسب جسده مناعة ضد لدغات العقارب الكبيرة، ويستوعب سموه الدرس ويقصّه علينا بكثير من الوعي واليقظة المبكرة لدروس الحياة، ليختم ذلك بقوله وبنبرة لا تخلو من الأسف والحسرة بعدما رأى من طباع الناس وأخلاقهم فيقول: «النومُ مع العقارب أسهل من الحياة معها.. رحمك الله يا حميد»، لتكون هذه الوخزة اللاذعة خاتمة لهذه القصة التي استوعب في تفاصيلها كثيراً من معالم الخبرة الباهرة بحياة الصحراء وطرائق القنص وفنون الصيد.

المعلم الأول

وتأتي القصة الرابعة لتكون وقفة رائعة مع معلّمه الأول وملهمه أعمق معاني الحياة، والده المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، الذي يتكلم عنه سموه بإحساس هو مزيجٌ

بقلم: أ. د. محمّد عبد الرّحيم سلطان العلماء

- ثلاث قصص متتابعة حملت اسم «لطيفة» دلّت على عظمة حبها في قلب سموه
- «النوم مع العقارب» من أغرب حكايات سموه مع الحياة
- الكتاب يؤكد أن الإنسانية العالية للشيخ زايد عززت مكانته في القلوب

ـد.. تجليات إنسانية رفيعة

باهـر من الحـب والفخـر والزهو بهـذا الوالد الجليل، فيرسـم لنا في البداية صورة خارجية له من خلال مظهره الدال على الشجاعة والفروسية وعُمق الخبرة بالحياة، ويفتتح حديثه عنه بجملة ثلاثيـة الأبعاد بديعة الدلالـة على الأثر العميق الـذي تركـه والده في شـخصيته حيـن يقول: «أبـي والخيل ودُبـيّ هي ذكرياتـي الأولى عن طفولتـي، أبي والخيل ودبي هـي ذاكرتي التي سـتبقى معي حتى النهاية»، ثم يفسّـر سـموّه هذه الثلاثية الرائعة بقوله: «الخيلُ تجمع العزّة والأَنَفَـة والرقة والقوة في نفس الوقت، وكذلك أبي وكذلك دبي».

دروس راشد.. دروس الصحراء

على الرغم من الخبرات الهائلة لصاحب السـمو الشيخ محمد بن راشد في معرفة الحياة الحديثة وتذوّق إيقاع العصر، فإنه شديد الوفاء للصحراء كمُلهمٍ عميق الأثر في تكوينه الروحي والأخلاقي والنفسـي، فقـد كان والده حريصاً علـى صَقْلِه من خلال شمسـها اللاهبة، وهو ما خلّده سموّه في هذه السـيرة العاطرة، حيث سجّل كثيراً من المواقـف التي واجهها فـي الحياة برعاية والده الشـيخ الجليل راشد بن سعيد آل مكتوم، رحمه الله، الذي كان يستشـرف الآفـاق المقبلة لهذا الفتى المقدام الشـجاع الـذي تلوح على مُحيّاه معالم الجدّ والرغبة الصادقة في العمل والإنجاز، ويبـدو أنّ تلك التربية كانت مبكّرة جداً من عمر سموه، وهو ما ذكره بقوله: «بين الرابعة والثامنة من عمري علّمني أبي الكثير عن الصحراء، وكيف يمكن أن تعيـش حياة كاملة فيها، رُغم ما يظهر فيها من قسـوة المظهر، وقلة الموارد، واتّسـاعٍ قـد يُخيف الكثير مـن الناس». وبمـوازاة هذه الرغبة في التعليم المباشر من طبيعة الحياة كان والده حريصاً على أن يجمع له كل أنواع التعليم الذي تزداد به الخبـرة وتنفتح به عين البصيرة، وهو ما عبّر عنه صاحب السـمو بقوله: «أرسلني للمدرسة لأتعلم القراءة والكتابة واللغة والعلوم، وأخذنـي معه في مجالسـه وجولاتـه ورحلاته لأتعلّم الحياة».

وفي هذا السـياق من الالتزام الشـديد بين الوالد والولد، يقصّ علينا صاحب السـمو الشيخ محمد بن راشـد بعض المهـارات المبكرة التي تعلمهـا تحت إشـراف والده الـذي كان يُعدّه للحياة وخدمة الوطن والناس، فيقول: «تعلمت من والدي الرماية وإفراغ البندقية وتنظيفها قبل الثامنة من عمري، تعلمتُ منه أنّ ترك السـلاح دون مرافق جريمة كبرى، لأنه قد يقع بين يدي شخص آخر يُودي بحياته». وتأكيداً لهذا الإصرار من والـده على تنمية مهاراته فـي فهم الحياة البدويـة - حيـاة الصحـراء، يؤكد سـموه ذلك بقوله: «اهتـمّ والدي بقدرتي علـى الملاحظة وكان يختبرني مرات عدّة.. واهتمّ بتعريفي على تضاريس الأرض وعلاماتها بالإضافة إلى علامات السـماء: النجـوم بوصلة الصحـراء، وكان يقول لي: الضياع في الصحراء أمرٌ سـهلٌ جداً، ويعتمد الفريق دائماً على القائد ليحدد الطريق»، لتكون هذه العبـارة ونظائرها بمنزلـة الدروس الأولى التـي تلقّاها مـن حكمة والـده الجليل، ليختم هـذه الذكريات الرائعة مع والده وما تركته من أثر نفسي وعملي عميق في شخصيته الإنسانية والسياسـية بقوله: «وقبل الثامنة علّمني والدي كيـف أعيش مع الصحراء مـع هوامّها ودوابّها، مـع ذئابها وغزلانها، مع بردها وحرّها وتقلباتها. بعـد الثامنـة علّمنـي والدي كيـف أعيش في المدينة مع البشـر.. ما أقسى الحياة وما أجمل الصحراء!».

حزن ثم وداع

وكم كان صاحب السـمو الشيخ محمد بن راشد موفّقاً وإنسـانياً حين أجّـل الحديث عن مفارقة والـده للدنيا كي يربط بيـن وداعه للحياة وبين أحزانـه على فراق زوجته التي عاش معها أجمل سـنوات العمر، وهو ما سيقصّه علينا سموه في ثلاث قصـص متتابعـة حملت اسـم «لطيفة»، حيث احتلت سيرة والدته، رحمها الله، المساحة الكبـرى على مسـتوى عدد القصـص في هذه السـيرة الرائعة، ومـن أراد أن يعرف العواطف الكبـرى الصافية فـي قلب سـموه فليقرأ هذه القصص الثلاث، حيـث ارتوى من ينابيع الصفاء والتربية السـديدة التي تقوم على سلامة الفطرة وإضـاءة القلب بالنـور وحب الخير ومسـاعدة المحتـاج، وربما كانت هذه القصص الثلاث هي أشـدّ قصص الكتاب جاذبيـة ودلالة على الحس الإنسـاني الرهيف لهذا الفارس الباسـل الشجاع الذي لا يُخفي دموعه الكريمة وهو يودّع والدته الوداع الأخير.

وبدفقة عاطفية باهرة يفتتح صاحب السـمو حديثـه عن والدته المغفور لها الشـيخة لطيفة بنـت حمدان آل نهيـان، ابنة حاكم أبوظبي من 1912 - 1922م، يفتتـح حديثـه بتعريف معنى اللطـف ليندفـع بعد ذلـك بالتعبيـر عن حبه العظيم لوالدتـه فيقول: «لطيفة في الحياة هي أمـي، وقلبي الـذي في صـدري، وأجمل وأنعم وأرقّ وأرفق إنسـان في حياتـي»، ملخصاً بذلك كل ما سيأتي من مشاعر البوح والحنين إلى ذلك القلب الذي أعطاه معنى الحياة.

الهدية

كان محمد بن راشـد هدية اللـه تعالى لوالدته الشـيخة لطيفة التي انفطر قلبها بعد وفاة أصغر أولادهـا مروان الذي توفي صغيـراً، رحمه الله، وظل قلبها كسيراً بسـبب فقده، لكن إرادة الله تعالى شـاءت جَبر هذا القلب الكسير، فرأت في منامها أن الله سـيرزقها غلاماً تسـمّيه (محمد) وتحققت البشـرى، وجاء صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، فأزهرت حديقة قلبها بمَقْدمه، ومنحته من الحب ما جعله يشـعر أنه الأقـرب إلى قلبها، رغم حرصها على حب جميع أولادهـا، وقد تسـللت هذه المحبـة إلى قلب سـموه منـذ طفولته الأولى، وظـل محتفظاً بها بين جوانحه ليقصها علينا بعد هذا العمر المديد السـعيد فيقول: «كانت محبتهـا عظيمة لجميع أبنائها لكنّني كنتُ الأقربَ إليها. كانت تسـتيقظ مبكـراً لتُعدّ لنا الفطـور، رغم وجود من يخدمها فـي البيت. لا أزال أذكر رائحـة خبز أمي، وأذكر حديثـي معها فـي الصباحات الباكـرة. وكانت تُعدّ فطوري كل يوم قبل ذهابي للمدرسـة وفي الطريق كنتُ أقسمه نصفين؛ لي نصف، ولمُهرة كنت أحبها النصف الآخر»، ثم اكتشفت أمه هذا الصنيع فزادت من كمية الطعام إكراماً لشـهامة قلبـه وحبه للخيـل، ليختم هـذه القصة الأولى بإحساس شجيّ يقطر ألماً وحزناً على تلك الروح الطيبـة فيقول: «هكذا هي الأم لا تشـبع حتى ترانـا نأكل، ولا ترتـاح إلا بعد أن ننام، ولا تفرح إلا إذا زالت عنّـا الأحزان». ثم يعلو صوته بهذه الترنيمة الحزينة التـي تؤكد هذا الحب العظيم المتجذر في أعماق قلبه لهذه الأمّ الرؤوم فيقول:

مـهـمـا الـلـيـالـي تـدور
حـبّـك تـرا فـي الـصـدور
إنـــتِ بـــدر الـــبـــدور
لـــك كـــل حـــب وشـــعـــور

وأنت يا صاحب السـمو، سـيدُ الفرسـان وقمر الظلماء الذي لا يغيب.

حنين

فـي القصة الأولى اسـتلهم سـموه بإحساسـه الشـعري البديـع مقطعـاً شـهيراً جداً للشـاعر الفلسطيني محمود درويش يقول فيه:

أحنّ إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي
وتكبر فيّ الطفولة
يوماً على صدر يومٍ
وأعشق عمري
لأني إذا متّ أخجل من دمع أمي

وفـي القصة الثانية يسـتلهم سـموه من شـعر الشـاعر الشهير نزار قباني، ويفتتح القصة بقوله: يقول نزار قبّاني في رثاء شريكة حياته بلقيس:

بلقيسُ
كانت أجمل الملكات في تاريخ بابلْ
بلقيسُ
كانت أطولَ النخلات في أرض العراق
كانت إذا تمشي
ترافقها طواويس
وتتبعها أيائلْ.

ثم يعلّق سموه على هذا الاقتباس البديع بقوله: «ذكّرتنـي هـذه الأبيات بأمي الشـيخة لطيفة، كنـتُ أراهـا وأنا صغيـر، أذكرها وهي تمشـي وخلفها مجموعة من الغزلان التي اعتنت بها منذ صغرها، ترافقها وتتبعها أينما ذهبت، كانت أمي أميرة وجميلة، كانت أمي أجمل الملكات، كانت أمي أطـول النخلات، كانت إذا تمشـي يرافقها غزال، وتتبعها عناية الرحمن».

وتأكيداً لهذه المحبة الخالدة يذكر سموه أنه ذات يوم أهدى والدته غـزالاً صغيراً عثر عليه فـي الصحـراء، بعد أن تركته أمـه بعد ولادته فلم يجد قلبـاً أرحم ولا أحنّ من قلب والدته، فحملـه وكان هديته إليها، وفرحت كثيراً بهذه الهدية الرمز، وفرح سموه من أعماق قلبه لفرح أمه ولخّص شـعوره الدافئ بقوله: «ابتسـامتها كانت حياة، كانت أجمل ما في الحياة»، ثم قال بنبرة لا تخلو من الحزن الشفيف: «من يشبهك يا أمي.. مَن مثل أمي؟».

ساكنة القلب

وفي القصة الثالثة يُسدل صاحب السمو الشيخ محمد بن راشـد السـتار على هذه الشـخصية التي سـكنت سـويداء قلبه وإلى الأبد، مؤكداً فـي بداية القصـة أنّ كل من لم يذُقْ حبّ الأم وحنانها لم يذق طعم الحياة، ليسجل بعد ذلك تلك اللحظات الرهيبة حين غادرت هذه الروح الطيبـة الدنيا في مايو عـام 1983، واقرأ معي لوعة سموه وهو يقول في سيرته هذه بعد كل هـذا العمر: «فقدتُ أمي، فقـدتُ حبيبة قلبي ونظر عيني، وفقد أبي شـريكة حياته وسـنده وحبـه وصديقته ورفيقته وحبيبته بعد أكثر من أربعيـن عاماً»، مصوراً الأثـر العميق الذي تركه فقدها على نفسـية والده، حيث كان لا يتخيل أن يكون هذا الجبل الراسخ الأشم الوقور الصبور الذي صمد أمام أعتى تحديات الحياة رقيقاً إلى هـذا الحـد، لكنّ فقد (لطيفـة) عصف به فلم تعد حياتـه كما كانت، وظل شـديد الوفاء لها حريصـاً على ذكراها، لينفجـر باكياً وهو الرجل الشـجاع الصبور في موقف عاطفي خالد سجّله صاحب السمو الشـيخ محمد بن راشد، للدلالة على كمال إنسـانية والده وشهامة قلبه الجريء الشجاع.

وتخليـداً لتلـك اللحظـات عميقـة الأثر في النفـس، يختتم سـموه هـذه القصـة المؤثرة جداً في النفس الإنسـانية بوصف شـعري أخّاذ للحظات الـوداع الأخيرة فيقول: «كانت جنازتها مهيبة، حضرها الآلاف وبكى فيها الآلاف على أم دبيّ، نزلتُ معها في قبرها وسـجّيتها في مثواها الأخير ودموعي لا تتوقف، ثم خرجتُ من القبر، عند خروجي سـقطت سـاعتي بجانبهـا، انعقد لسـاني من هول اللحظـة، لم اسـتطع الكلام، نظـرتُ إليها ونظرتُ إلى سـاعتي بجوارها وألمٌ فظيعٌ يعتصر قلبي، وصوتٌ ما يهمس في داخلي: شيءٌ مني معها».

لـعـمـرُ أبـي يـالـوجـوه الـحـبـيـبـة
إنـي لـهـا قـد غـزلـتُ الـحـروفْ
ورفـرف بـيـن الـضـلـوع اشـتـيـاقـا
عـلـى الـبُـعـد هـذا الـشـقـي الألـوفْ
خـيـالاتُ أحـبـابـه الـراحـلـيـن
تُـطـالـعـه دانـيـات الـقـطـوفْ
بـنـيـتُ لـهـم كـعـبـة لـلـحـنـيـن
فـــإن أتـعـبـتـنـي خُـطـاي
تـركـتُ بـهـا الـقـلـب بـعـدي يـطـوفْ

المُلهم

وكما كان سـموه وفيّاً لهـؤلاء الآباء الكرام، كان وفياً لشـيخه ومعلمه وملهمه المغفور له الشيخ زايد بن سـلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، شيخ البلاد وباني نهضتهـا، فخصّه بقصة بديعة، هي القصـة رقـم (45) من سـيرته الرائعـة عنوانها «رحيل زايد»، اسـتعرض فيهـا الكثير الطيب من سيرته العاطرة الخالدة في قلوب أبناء الإمارات، فالشيخ زايد ليس ممن ينساه الناس، وحين نقرأ صورته كما صوّرها صاحب السـمو الشيخ محمد بن راشـد في هذا الكتاب، نزداد له حباً ولذكراه إكبـاراً، واقرأ معي هذا الـكلام النبيل النابع من قلـب صـافٍ وروح كريمـة حين يقول سـموه عن أثـر زايدٍ العميق في الرجال الذين جلسـوا بين يديه واقتبسـوا مـن حكمتـه: «علّمنا زايد كيـف يمكن أن يبقى الإنسـانُ حياً في القلوب والعقـول، علمنـا زايد كيـف يمكـن أن يبقى الإنسـان عالياً في الحياة وفي الممات»، لتذكرنا هـذه الكلمة الأخيرة بتلك الأبيات الخالدة لأبي الحسـن الأنباري التي قالها في رثاء أحد عظماء الدولة العباسية فقال:

عُـلـوٌ فـي الـحـيـاة وفـي الـمـمـاتِ
لَـحَـقٌّ تـلـك إحـدى الـمـكـرمـاتِ
عـلـيـك تـحـيـةُ الـرحـمـن تـتـرى
بـرحـمـاتٍ غـــوادٍ رائـــحـــاتِ

وبفيضٍ شـعري بديعٍ يسـتحضرُ صاحب السمو الشـيخ محمد بن راشد بيتاً بديعاً للمتنبي يقول فيه:

لـك يـا مـنـازلُ فـي الـقـلـوب مـنـازلُ
أقـفـرتِ أنـتِ وهُـنّ مـنـكِ أواهـلُ

يسـتحضره للدلالة على المكانة الفريدة للشيخ زايـد فيقـول: «زايد هـو الأول في كل شـيء، والأول دائمـاً، له محبة مختلفة ومكانة مختلفة، له منازل في القلوب أيّ منازل، صحبتُ زايد في الكثير من اللقاءات والاجتماعات والأزمات أيضاً، وإن كان لـي أن أصفه بكلمـة فهي «الحكمة»، والحكمـة كنزٌ عظيـم يؤتيه الله من يشـاء من عباده: {ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً} (البقرة: 269).

وبحسـب صاحب السـمو الشـيخ محمد بن راشـد، فقـد كانت حكمة الشـيخ زايـد، رحمه اللـه، تتجلى في التصرف الراشـد بأموال النفط التي سـخّرها لبناء تنمية مستدامة لشعبه، وبناء إنسان قادر على إكمال حلمه، وكان سابقاً لزمانه بتأسـيس الصندوق السـيادي للاتحاد الذي هو صمّام أمان للدولة وضمان للشـعب، والذي غدا بفضل السياسة الرشيدة واحداً من أكبر صناديق الثروة السيادية في العالم.

كما تجلت حكمته السياسية في إدارة اتحاد الإمارات، حيث بذل مـن الجهد الصادق ما لا يعلمه إلا الله تعالى، في سـبيل توحيد البلاد تحت راية واحـدة للانخراط في تنمية الوطن بقلـوب متآلفة وسـواعد متكاتفة، فكان له ما أراد، وأنجز بالتعب والتخطيط مع الشيخ راشد أعظم حلم للشـعب، وهو إنشـاء دولة قوية ذات سـيادة وطنية تولى فيها صاحب السـمو الشيخ محمد بن راشد، أعظم المسؤوليات في سـنّ مبكرة جداً، فأحب الشـعبُ الشيخ زايد لبساطته وسخاء كفه ورحمة قلبه، واستطاع أن ينجز معادلة صعبة جداً مع دول الجوار، حيث عمـد إلى تجفيـف منابع النزاعـات الجانبية ليتفرغ الشـعب والقيادة لمعركة الإعمار وبناء الإنسـان فـي ظل الوطـن النمـوذج، فكانت الإمـارات هي القدر اللامع في سـماء الغيب، ففرحـت بها الشـعوب العربيـة، وبنبل أصيل يذكر صاحب السـمو الشـيخ محمد أنّ الملك الراحل الحسـين بن طلال، ملك الأردن، رحمه الله، كان أول المهنئين والداعمين لقيام اتحاد الإمـارات، مؤكـداً في هـذا السـياق المكانة العظيمة للشـيخ زايد في نفوس العرب، حيث كان يسـعى في مصالحهم ويبذل أقصى الجهد فـي سـبيل رأب الصدع إذا وقـع بينهم، فحلّ كثيراً من الخلافات، وسعى السعي الحثيث في سبيل إنجاز مجلس التعاون الخليجي المشترك، في إطـار نظرتـه الحكيمة لتوحيـد أكبر قدر ممكن مـن الجهود العربية كـي يظل للعرب هيبة وكلمة مسـموعة في عالـم لا يحترم إلا القوي المتمكن.

خلق كريم

وبإنسـانية عالية يلفت صاحب السـمو الشـيخ محمد بن راشـد نظر القارئ إلـى الخلق الكريم الـذي اسـتحق به الشـيخ زايـد هـذه المحبة الراسـخة فـي القلـوب فيقـول: «كان زايد من الرجال المخلصين الذين يعملون في السـرّ أكثر مـن العمل في الجهر، ولعـل هذا الإخلاص في السـر هو سـرّ محبته التي غرسـها اللـه له في قلـوب الخلق، وشـهادتنا في عمـل زايد للخير مجروحـة، لأنه علّمنا معنـى العطاء دون انتظار مقابل، وتعلمتُ منه بشـكل شخصي العطاء في السـر، فالمعلن من تبرعات وعطايا زايد أقلّ مما أعرفه شخصياً، كان رحمه الله صاحب قلب كبير وعمل مخلص».

وتأكيداً للخلود المعنوي للشـيخ زايد، رحمه الله، يختتم سموه هذه القصة المخصصة لذكرى زايـد بقوله: «حتى في رحيله ترك لنا زايد حكمة عظيمـة: ما مـات مَنْ بنى أوطانـاً، ما مات من خلّـف قـادةً ورجالاً، ما مات مـن فعل معروفاً، ومـا مات من صنع أجيالاً، هـم أحياء عند ربهم يرزقون، وفي قلوب الناس باقون باقون.. في جنة الخلد يا زايد الخير».

سجلٌ خالد

سـيدي صاحب السموّ الشيخ محمد بت راشد.. ليت المقام يسمح لاستكمال سرد الكثير والكثير من ملامح الإنسـان الرائع الساكن في أعماقك، ليتني أستطيع أن ألخّص الحكاية التاسعة عشرة «كامبريـدج»، كي يعرف النـاس طبيعة الحياة التقشفية التي عشـتها أثناء دراستك العسكرية فـي إنجلتـرا، ليتني أسـتطيع وصف شـعورك الإنسـاني النبيل في قصة «الخيمة الشـمالية» التـي رويـتَ فيها للأجيـال القادمـة قصة بناء دولـة الإمارات وعذابـات الوصول إلى الاتحاد، ليتني أسـتطيع أن ألخص للقراء سـكينة قلبك يوم غـادرت الوطن إلـى مكة المكرمـة طالباً العون من الله لإكمال مسيرة الاتحاد والنهوض بأعباء البـلاد والعباد، ليتني أسـتطيعُ التوقف عند قصصك الخمسـين التي كتبتَها بماء القلب وضَـوْءِ الـروح، كي تظل سـراجاً ينيـر الطريق لهذه الجموع التي تحبك وتزدهي بفروسـيتك وأخلاقـك العاليـة، التي تجسّـدت فـي أروع تجلياتهـا في هذه السـيرة الباهرة التي تحكي قصة الإنسـان الوفي لدينه ووطنه وأمته وأبيه وأمه وأشـياخه، في واحدة مـن أروع إنجازاتك الأدبية التي سـتكون سـجلاً خالـداً لمنجزات الوطن وتاريخه الزاهر بك وبأعوانك من فرسان البلاد ورجالها الكبار.

50 قصة x 50 عاماً

قصتي.. سيرة قائد وفارس عطـ

وثيقة تاريخية كاتبها حاكم وحكيم متمرس وخبير عاصر العهدين في دولة الإمارات : ما قبل الاتحاد وما بعده

جواهر وعبر بحبكة غاية في الجمال والكمال نابضة بالحقائق والصور الإيجابية وملامح الهمّة العالية والأصالة

مضامين وعناوين تعكس نجاحات دبي وتروي مواقف ومحطات من ذهب موشّاة بأبجديات الإصرار والتحدي والعزم

حروف وديباجات خفاقة بفخر وتواضع فارس العرب وتمسكه بروح العمل الإنساني والخير والمحبة والسلام والتنمية

حكايات عن الفروسية والخيل والعيش في الصحراء والتعلق بها بموازاة السعي إلى مواكبة الحداثة والتطوير

«قصتي.. 50 قصة في خمسين عاماً»، عنوان كتاب جديد لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، وهو ليس أول مؤلَّف لسموه، بل سبقته مؤلفات عدة مثل: «زايد» ديوان شعر، «ابتهالات» ديوان شعر، «أربعون قصيدة من الصحراء»، «ومضات من فكر»، «تأملات في السعادة والإيجابية»، «ومضات من حكمة»، «روح الاتحاد»، والكتاب الأهم هو «رؤيتي».

صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، الحاكم والشاعر والكاتب والفيلسوف والفارس، مؤلف مخضرم عاصر العهدين في الإمارات، ما قبل الاتحاد وما بعده، وعايش الشيخين، المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والمغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، طيب الله ثراهما.

وكتاب سموه الذي بين أيدينا من القطع المتوسط، يقع في 306 صفحات، وطبعته فاخرة بجلدها، وفخمة بلونها، يضم خمسين عنواناً، وضمّنه سموه أربعاً وتسعين صورة، تمثل مراحل ومواقف مختلفة.

استهل صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد كتابه القيِّم بمقولة من مقولاته الخالدة وهي: «سيقولون بعد زمن طويل: هنا كانوا، هنا عملوا، هنا أنجزوا، هنا ولدوا، وهنا تربوا، هنا أحبوا، وأحبهم الناس».

وفي هذا الافتتاح الموجز إشارة إلى أن الذي يبقى هو العمل، وأما الجسم فيفنى لا محالة، وإن جاز لنا أن نفاخر ونفتخر، فلنفتخر بالعمل الصالح والعمل النافع،..... ونذهب ذكرى خالدة، قال تعالى: «فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».. (سورة الرعد - الآية 17).

وفي الحديث الشريف: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أَحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله قد علمنا «الثرثارون والمتشدقون»، فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون»، رواه الترمذي.

ويقول الشاعر في مكارم الأخلاق:

وإني لألقى المرء أعلم أنه
عدوٌ وفي أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشري فيرجع ودّه
سليماً وقد ماتت لديه الضغائنُ

بشائر

بعد هذا التمهيد أودّ أن أزف البشائر إلى قلوب المتعطشين لقراءة التاريخ ومكارم الأخلاق، وسِير الرجال، بأني استمتعت بقراءة هذا الكتاب القيم، المُهداة إلي من سيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، نسخة منه.

والكتاب في غاية الجمال والكمال، لأنه يحمل بين ثناياه الحقائق والكثير من الصور الإيجابية التي تخلّق بها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد منذ نعومة أظفاره، ويدعو الناس إلى التخلق بمثلها.

وافتتح صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد كتابه بالبسملة لإيمان سموه بأن الإنسان مهما يؤت من قدرات فإنه لن يحقق ما يريد إلا بتوفيق ومباركة من الله سبحانه وتعالى، وقديماً قال الشاعر:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى
فأوّل ما يجني عليه اجتهاده

وقد لاحظت لدى سموه إيمانه بهذا المبدأ من خلال تصفحي للكتاب، ففي المقدمة قال: «بدأنا عملنا قبل خمسين عاماً، واضعين أمامنا كلام الله، قال تعالى: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

وعندما تحدث عن جده المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم، استشهد بموقف إيماني له، وهو أنه كان يقوم قبل صلاة الفجر ويذهب إلى بئر المسجد ليملأ بدلوه حوض المسجد قبل أن يأتي الناس للوضوء.

وعندما زار سموه شاه إيران يوم تتويجه، أعجب بتلك الأبّهة، لكن سرعان ما انكشف له أن الملك لله وحده، هو ملك الملوك، ولا يدوم مُلك لمتكبر لأن الكبر لله وحده.

وتحدث سموه عن والده المغفور له الشيخ راشد بن سعيد، فقال إنه كان يبدأ يومه بالاستيقاظ لصلاة الفجر ثم يبدأ جولته الميدانية.

وعندما يتحدث سموه عن حبه للخيل، يبرر ذلك بقوله: «القرآن أثنى على الخيل ورب العزة حلف بها فقال: والعاديات ضبحاً».

وعندما كان يُعدّ «أم حلج» للسباق يقول: «سحبت كندورتي على عجل، بل وتوضأت وصليت ثم سارعت إلى فرسي».

وفي لندن عندما وصلوا إلى الفندق ودخل غرفته، أول شيء أمره به والده الصلاة، إذ قال له: «اغتسل وصلِّ وارتد ملابسك قبل أن نقابل رئيس الوزراء».

وعن الفترة التي كان فيها يتدرب على دخول البحر ومعايشة معاناة «الغواويص»، يقول سموه: «جلست أتأمل البحر ثم توجهت إلى الله بدعائي أن يعينني على خدمة هؤلاء».

وفي عام 1968 عندما طلب منه والده البدء في إنشاء قوة دفاع اتحادية، يقول سموه: «استأذنت والدي في الذهاب إلى مكة للعمرة وطلب العون من الله».

وفي نهاية الكتاب يقرر سموه بأن الذي يُقرِّب الإنسان من ربه هو عمله الإنساني، وهكذا نجده دائماً وأبداً يعمل بعيداً عن الاغترار بنفسه، بل يطلب العون والمدد من الله، وهذه كلها مواقف إيمانية وطاقات إيجابية لدى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، ولعل هذا هو سبب نجاحه ونجاح دبي.

إنجازات

هكذا، فإن سموه، وعندما يقدم اليوم لشعبه والعالم إنجازاته عبر خمسين سنة، في هذا الكتاب، لا يفعل ذلك غروراً ولا مباهاة، بل يسمي ذلك اجتهادات قد تصيب وقد تخطئ، والله سبحانه وتعالى يعطي للمجتهد إذا أصاب أجرين، وإذا أخطأ أعطاه أجراً واحداً، وفي كلٍّ خير، المهم ألا يتعمّد الإنسان الظلم وهضم حقوق البشر.

نعم.. وضع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، الإنسان نصب عينيه في كل تحركاته، لأن الإنسان هو رمز الخير في هذا الوجود، والله تعالى يقول: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون». (سورة التين 4-6).

ولو أمعنّا النظر في عناوين الكتاب لوجدنا أن سموه لم يتحدث عن سيرته الذاتية، قدر تحدث عن إنجازات ومواقف ومحطات ذات أهمية في حياته، وهذا ينسجم تماماً مع اسم الكتاب «قصتي»، وربما يقصد قصة نجاحه، وإلا فقصة سموه تحتاج إلى مجلدات.

وشدّ صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد انتباهي، مع هذا الكتاب، عندما رأيت أول صورة لسموه وهو في منزل جدّه المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم، بالشندغة، في حين أن الموضوع الأول الذي تناوله بالحديث، هو رحلة المريخ ورواد الفضاء الإماراتيين، وكأنه يريد أن يوصل بذلك رسالة إلى العالم بقوله: «من هناك بدأنا وهنا وصلنا»، فليس المهم كيف كنا وإنما المهم أين نحن اليوم؟ والطموح العظيم يقودنا إلى الأمام كما قال سموه.

نعم.. سموه يعتز ونحن معه نعتز، بأنه عن قريب سيصل ابن الإمارات إلى المريخ، ومع ذلك فإنه لا ينسى الحياة الأولى التي عاشها في بيت جده المكون من الطين والحجارة المرجانية في دبي.

ولا ينسى أيضاً أن ينسب الفضل إلى ذلك العهد وإلى ذلك الجدّ المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم، الذي فتح أمامه أبواب هذا الخير، فالجدّ بتعلقه بالمسجد وصلاة الفجر، كتب الله له نجاحاً أسعده وأسعد ذريته من بعده، وإننا باجتهادنا وبصلاح الآباء والأجداد نوفق بإذن الله، ما دامت النية طيبة، لأنه كما قال الشاعر:

عباراتهم شتّى وحُسنك واحد
وكلٌ إلى ذاك الجمال يشير

قيمة

أفاض صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد في الحديث عن جده المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم، ووالده المغفور له الشيخ راشد بن سعيد، ووالدته المغفور لها الشيخة لطيفة بنت حمدان آل نهيان، وعن أخويه المغفور له الشيخ مكتوم بن راشد، وسمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم نائب حاكم دبي وزير المالية، في هذا الكتاب.

وما كتبه عن والده مؤثر جداً، لا سيما عندما تحدث عن آخر أيامه، وبعد وفاة زوجته الشيخة لطيفة بنت حمدان آل نهيان، ومدى تأثره بوفاتها. ولقد أبكتني قراءة سيرته مرتين، مرة عندما قرأت كتاب كمال حمزة مدير بلدية دبي سابقاً، عن الشيخ راشد بن سعيد، وبكيت الآن مرة أخرى عندما كتب صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد عن والده، وكيف طلب الشيخ راشد بن سعيد كمال حمزة ليملي عليه وصية المغفور لها الشيخة لطيفة، رفيقة دربه، وكيف كان متأثراً، حتى إنه لم يستطع أن يفاتحه في الحديث من شدة البكاء.

وفي الوقت نفسه تأثرت أيضاً تأثر المُعجب بشخصية المغفور لها الشيخة لطيفة بنت حمدان آل نهيان، التي كانت الزوجة والأم الحنون، ورفيقة الدرب، التي كانت تتقمص شخصيات أخرى مثل العالِم باستخدامات السلاح وبالفروسية وأدواء الخيل، والعالِم بالأعشاب الطبية، وتفقد أحوال الناس ذوي الاحتياجات، وغير ذلك من الصور الإيجابية.

تقسيم

بتصفحنا للكتاب نرى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، يقسّم حياة الطفولة إلى ما قبل الثامنة وإلى ما بعدها، ففي فترة ما قبل الثامنة يبدأ سموه بالحديث عن وفاة جده الشيخ سعيد بن مكتوم، وكان يوماً مهيباً، حيث بكى الرجال والنساء على فقده، ونُكست الأعلام.

ومما ذكره من ذكريات فترة ما قبل الثامنة من عمره، نومه مع العقارب، وما من ليلة إلا وكان يقوم متألماً من لدغات العقارب، واكتشف فيما بعد أن الذي كان يتولى تربيته على حياة الصحراء، كان يتعمد أن يضع من 10 إلى 12 من صغار العقارب في فراشه ليبني مناعته ضد لدغات العقارب، ومنذ ذلك اليوم أدرك سموه أنه ليس كل ما يؤلمك شر، وقد بنى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، فلسفة خاصة على ذلك فقال: «عقارب الصحراء أهون من عقارب البشر».

ومن المعلوم لنا أن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، لا يحب الوشاة ولا النمامين، وهكذا كان المغفور له الشيخ راشد بن سعيد، رحمه الله، حيث كان يستمع إلى الجميع، ولكنه لم يكن ينتظر الواشي لينقل إليه خبر فلان وخبر علّان، وإنما كان يبني حكمه على قناعاته الشخصية.

نعم.. ولو عدنا لتلك المرحلة، حين كان سموه في ما قبل الثامنة من العمر، لوجدنا أن والده أرسله إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة، وفي الوقت نفسه أرسله إلى من يأخذه إلى الصحراء، فيتعلم كيف يتعقب الأثر ويقرأ الرمال، وفتح معلّمه عينيه بالفعل على الغزلان والحبارى والأفاعي والذئاب، ودربه على الصيد بالصقور، وعلّمه قراءة ردّ فعل الحيوانات عندما ترى الناس، وعلمه الرماية، وعرّفه والده، رحمه الله، إلى تضاريس الأرض وعلامات النجوم والرياح.

ومن خلال التعامل مع الصحراء وحياة البر، اكتشف سموه أن البشر أقسى من الصحراء بكثير، وأن الصحراء رغم ما فيها من قسوة الحياة والهوام والحيوانات المفترسة، ألطف من البشر، والتعامل معها أسهل، وقد صدق الشاعر عندما قال:

عوى الذئب فاستأنستُ عند عُوائه
وصوّت إنسان فكدتُ أطير

3 مؤثرات

وفي النهاية، يقرر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد أن ثلاثة في حياته لها تأثير إيجابي: الخيل ووالده ودبي، لأن الثلاثة في فكره تجمع بين العزة والأنفة والرقة والقوة.

ومن ذكرياته في مرحلة ما قبل الثامنة أيضاً أنه كان شديد التعلق بأمه المغفور لها الشيخة لطيفة بنت حمدان آل نهيان، وأمه كانت شديدة التعلق به أيضاً، لأنه هبة الله لها من بعد مروان الذي توفي صغيراً وقد حزنت عليه أمه.

يقول صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد: «وأول هدية في حياتي هي تلك الغزالة الصغيرة التي أهديتها لأمي، وأمي كانت تحب الغزلان، وتلك الغزالة الصغيرة فقدت أمها في الصحراء، فلم أجد قلباً أحنّ عليها من قلب أمي الشيخة لطيفة، فقلت في نفسي: أميّ أعطتني الحياة وستعطيها أيضاً».

أول رحلة

ونقرأ لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، في هذا الكتاب، عن أول رحلة له إلى الخارج، رفقة والده، في زيارة إلى شاه إيران محمد رضا بهلوي، ليرى أبّهة المُلك لأول مرة، ويرى البذخ الإمبراطوري لأول مرة، إذ كان يحتفل الشاه حينذاك، بمرور 2500 سنة على الإمبراطورية الفارسية، وبلغت تكاليف ذلك الحفل الأسطوري 100 مليون دولار.

يقول صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد: «استمتعت بذلك الحفل البهيج، لكنني جلست وأنا صغير أفكر بيني وبين نفسي، وأقارن بين ذلك البذخ وبين بساطة الحكم في الإمارات، ورأيت كيف يعيش الشاه في برج عاجي معزول عن الشعب، وكيف يجلس والدي على المائدة

ـــرها العز وتاجها الإنجاز والتفرّد

في دبي، وكان عمر صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد، يومئذٍ، 10 سنوات، فطلب منه والده أن يختار ما يريد منً خيوله ويدربها استعداداً للسباق.

وبما أن أخوي سموه، المغفور له الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم وسمو الشيخ حمدان بن راشد، أكبر منه سناً فليس له إلا الخيار الثالث، وكان عبارة عــن مهرة مصابة اســمها «أم حلــج»، تطلبت منه علاجها، وعاونتــه والدته على علاجها، ثم توطدت العلاقة بينه وبينها لدرجة الصداقة، وتعلّم منها منذ ذلــك اليوم الوفاء والتحدث مع الخيل، وتعلّم أيضاً أن الإنجاز لا يأتي على طبق من ذهب، والإنجاز إذا لم تعطه كلّك لم يعطك كلّه.

ومن خلال هذه المهرة «أمّ حلج» تولدت عنده قناعــة بثلاثية أخــرى هي: «الحــب الأول والخيل الأولى والسباق الأول وهي لحظات تبقى محفورة للأبد».

ثــم يقــول: «وخيولنا نحن الإخــوة الثلاثة عند دخول السباق كانت ثلاثة أيضاً هي: العودة للشيخ مكتوم، والحمدانية للشــيخ حمدان، وأم حلج التي كانت من نصيبي وفازت على سائر الخيول».

انطباعات

وفي الكتاب يحدثنا صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد، عــن زيارته للندن ومقابلتــه رئيس وزراء بريطانيــا، وكيــف كان يتصور رئيس الــوزراء آنذاك هارولد ماكميلان، قبل لقائه، لكنه لما التقى به رآه يرفع ســاقه فوق الأخرى، علــى خلاف ما كان يرى الناس في مجلس والده.

فخرج من هذا الموقف بانطباع لم يتوقعه أبداً، كما خرج من مجلس الشاه بانطباع، مع الفارق بين الموقفين، وفهم عندئذٍ أن على الإنســان أن يساير ويجامل في ســبيل مصلحة بلاده أحياناً، لكن تبقى قيمه وعادات بلاده هي الإرث الذي تتوارثه الأجيال منه ولا تنازل عنها.

جوانب

نعــم.. ويتنــاول الكتــاب جوانــب عدة فــي حياة صاحــب الســمو الشــيخ محمد بــن راشــد، منها التربويــة والســلوكية والاجتماعيــة والإنســانية، والثقافيــة والأدبيــة، والسياســية والاقتصاديــة، والذاتية والنفســية، والعســكرية والدفاعية، ومنها الاستراتيجيات والرؤى والطموحات.

ففي الجانــب التربوي يتحدث صاحب الســمو الشيخ محمد بن راشد، عن تربيته في كنف أب قائد كالشــيخ راشد بن ســعيد الذي يصفه قائلاً: «كنت أسمع صوت والدي في عقلي وقلبي دائماً (ستكون مســؤولاً عــن حماية الاتحــاد) كانت تلــك العبارة تمنحني طاقة غير طبيعية».

ويتحدث عن تربيته على يد أم حنون كالشــيخة لطيفــة بنت حمــدان آل نهيان التــي يصفها قائلاً: «من يشــبهك يا أمي؟ من مثل أمي؟ ولا أزال أشــم رائحة خبز أمي».

وفي الجانب الســلوكي يتحدث عن الأدب الذي تربــى عليــه وهو احتــرام الأكبر، واحتــرام الأعلم، فيقول عندما يتحدث عن المغفور له الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم: «الأخ الأكبر دائماً يبقى احترامه مقدمــاً في جميــع الأحوال، تربينا علــى ذلك، وأنا شــخصياً حتى اليوم لا أقدّر أي إنسان لا يحترم من هو أكبر منه في أسرته».

وفــي الجانــب الاجتماعــي يتحدث عــن حياة والدته الشــيخة لطيفة بنت حمدان آل نهيان قائلاً: «كانت أمي أم دبي، كانت تعالج مرضاهم، وتواسي فقيرهــم وتســمع لنســائهم وتشــاركهم أفراحهم وأتراحهم، وتتفقد الجيران.....».

وفــي الجانــب الإنســاني يقول ســموه : «أنا لا أعتمد على جهودي الشخصية في العمل الإنساني، بل على الجهود المؤسسية، لذا أنشأت دبي العطاء، ثم مؤسســة خيرية، ثم مدينة عالمية، ثم المؤسسة المعرفيــة». وطبعاً، كلها ضمــن مبادرات صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد.

وفــي الجانــب الثقافــي والأدبي يقول ســموه: «أرسلني والدي إلى مدرسة لأتعلم القراءة والكتابة واللغة والعلوم، وأخذني معه في مجالسه وجولاته ورحلاته لأتعلم الحياة».

وتحدث عــن إصرار والده علــى أن يذهب إلى لندن لتعلم اللغة الإنجليزية التي رأى الشــيخ راشد بــن ســعيد أنها مفتــاح المغاليق في هــذا الزمن، فتعلم اللغة وتعلم قيمة المال في الغربة.

وأما الشــعر فقد برع فيه صاحب الســمو الشيخ محمــد بن راشــد، حتى صار يكتب ألغــازاً لا يدرك كنهها الشعراء إلى يومنا هذا.

وفي الجانب السياسي والاقتصادي يؤكد الكتاب أن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، يسير على نهج والده وأجــداده فجاء في حديثه: «جاء والدي الشــيخ راشد، وكان كل تركيزه وطاقته ووقته منصباً علــى المشــاريع والاقتصاد وكان يتجنب أي شــيء يمكن أن يجر بلادنا إلى مستنقعات السياسة».

ويقــول أيضاً: «وصية جدي لنا التنوع الاقتصادي وعدم الاعتماد على مصدر واحد».

وفــي الجانب النفســي يقول ســموه، إن والده ســلّمه إلى حميد بن عمهي، أحد شــيوخ المناصير ليعلمــه الصيد، وكان حميد يأخــذه إلى البر فينام في الصحراء مع العقارب، حتى تعود على لدغاتها، وحصلــت له المناعة فعــلاً، وبالمقارنة بين عقارب البــر وعقارب البشــر، حصل له انطباع نفســي بأن التعامــل مع عقارب الصحراء أهون من التعامل مع عقارب البشر.

وفي الجانب العســكري والدفاعي، تعلّم سموه فــي بريطانيا حيث يقول: «لم يكن هناك أفضل من المملكة المتحدة، لتقارب ممارساتهم العسكرية مع ما كان موجوداً ومألوفاً لدينا».

لذلــك فإنه عند قيام الاتحاد ســلّم إليه المغفور لهما الشيخ زايد بن سلطان والشيخ راشد بن سعيد، مهام حماية الوطن، فصار وزيراً للدفاع، وكان أصغر وزير دفاع في العالم يومئذ.

هــذا وتحــدث صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد فــي كتابه «قصتــي» عن اســتراتيجياته وطموحاتــه وزيراً للدفاع فــي الحكومة الاتحادية، ومســؤولاً عن القضاء والأمن العام في دبي، وبعد ذلــك وليّ عهد دبي، ثم نائباً لرئيس الدولة رئيســاً لمجلس الوزراء حاكماً لدبي، قائلاً:

«لدي طاقة تنافســية عالية، لدي هدف دائم أن أكون فــي المركز الأول، ويقينــي أن الدول تزدهر بــالإدارة الجيــدة للاقتصــاد وللخدمات الأساســية للشعب، وبالعلاقات الجيدة مع الجيران، وإن السرّ وراء عظمة أي دولة ليس في نفوذها العسكري بل في قوتها التنموية».

كمــا يؤكد ســموه في هــذا الكتــاب أن هناك مســلّمات يؤمن بها مثــل أن: «أزمــة العرب أزمة إدارية وليست سياسية، والتوقف عن التعلم توقف عن الحيــاة، وأكثرنا رحمة أقربنــا إلى الله، البحث عن الإنســان يكــون داخل الإنســان»، لذلك أطلق ســموه: صناع الأمل، وأعلن عن عام القراءة، وقال: «لا نحتاج إلى كثير من المال بل في حاجة إلى قلب يتلمس مواضع الخلل ويعمل بإخلاص».

سر النجاح

يعزو ســموه سرّ نجاحه إلى أنه حظي بتعاون كامل من قادة الإمارات، خاصة من المغفور لهما الشــيخ زايد بن ســلطان والشــيخ راشــد بن ســعيد، وبه اســتطاع أن يخرج باســتراتيجية تعبر عن الإمارات عموماً، وعن دبي خصوصاً.

ويعرض الكتاب أســماء أشــخاص ســكنوا ذاكرة صاحب الســمو الشيخ محمد بن راشد، حتى اليوم، لا ينســاهم، ويعدهم من أوائــل المعلمين له في مختلــف جوانب الحياة، وهم: المغفور له الشــيخ راشد بن سعيد والده ومعلمه الأول، وكذلك والدته «أم دبــي»، والمغفور له الشــيخ زايد بن ســلطان معلمه الثاني بعد والــده، ويعتز بأخيه المغفور له الشــيخ مكتوم بن راشد، الأخ الأكبر ويثني عليه ثناء جميلاً، ويذكر أنه كان موجهه إلى الخير في كثير من المواقف وله فضل في قيام الاتحاد.

كما ذكر أيضاً حميد بن عمهي الذي علّمه الصيد بالصقور والتعامل مع الحيوانات المفترسة وعقارب الصحــراء، وذكر أيضاً «أبوجابر» الذي علّمه الغوص والتعامل مع البحر.

بــل يذهــب صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد، إلى أبعــد من ذلك، فيعــدّ الحصان صديقه منــذ أيام «الصقــلاوي» حصان والــده المميز، وإذا كان الصقــلاوي في ذاكرته، فــإن «أمّ حلج» و«دبي مليونيــوم» يظلان فــي ذاكرتــه أيضاً، واليــوم يعد صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد من أكبر ملّاك الخيول على مســتوى العالم، وله صولات وجولات معهــا، وقد وصف الخيــل في هــذا الكتاب بأدق الصفات، ويقول سموه إنه «يفهمها وهي تفهمه».

إدارة الأزمات

كما تحدث صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشد عن طريقــة تعامله مع الأزمات، وذكر على ســبيل المثال «الانقلاب في الشــارقة»، وحوار ســموه مع إرهابي، وتعامل ســموه مع إرهــاب عابر للحدود، وقد تكللت جهوده بنجاح في كل هذه الأزمات.

وتحدث صاحب الســمو الشــيخ محمــد بــن راشــد، في كتابــه القيم عــن قيمة الاغتــراب فــي المملكــة المتحــدة، فيقول إنــه تعلّم اللغة الإنجليزية، وعرف قيمة المال، لأن والده ســلمه إلى مدرســة وعائلــة، وهذه خير طريقة لتعلم اللغة.

وأمــا المــال فقد خصص لــه مبلغاً لــم يكــن يكفيه، فلم يكــن أمامه إلا الاقتصاد وتوفيــر ثمن تذكــرة القطار والشــاي لأصدقائــه، ويقول إن والــده نجــح فــي ضرب عصفوريــن بحجــر: «فقــد تعلمت اللغة وفهمت قيمة المال».

ويلفــت الكتــاب نظرنا إلى بعض الأشــياء التي لاحظها ســموه في بيئة الإنجليــز، حيث رأى أنهم يســتغلون طاولة المطبخ لتبــادل النقاش، فالهدف مــن الجلوس على طاولــة الطعام ليس الأكل فقط، بل هو فرصة للتشاور.

ومــن العــادات الطيبة التي رآهــا عندهم أنهم يتبادلــون التحايا مع جيرانهم في ســاعة اللقاء، ولا يحبون من لا يبادلهم مثل هذا الشعور.

ومن ضمن ما تطــرق إليه الكتاب أن دبي مرت بأزمات كثيرة، وأن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، خلال خمسين عاماً من عمله، رأى الكثير من المعجزات كما يقول ســموه، بمعنى أنه لولا رعاية اللــه لما نجت دولة الإمارات، ولا ســيما أن الشــر يحــوم حوالينا عن كثب، ولا تزال هذه الاضطرابات مهددة لأمننا، لكن شجرة الاتحاد التي غرسها الشيخ زايد بنية طيبة ســتبقى باقيــة وظلالها الوارفة بإذن الله تبقى ملاذاً آمناً للمواطن والمقيم.

ولادة الإمارات

ولذلك يقول صاحب الســمو الشيخ محمد بن راشد فــي كتابه، إن هناك لحظات في حياته لا ينســاها، ومنهــا ولادة دولــة الإمــارات، ويفخر ســموه بأنه هو الذي اختار «عرقوب الســديرة» مكاناً لاجتماع المغفور لهما، الشــيخ زايد بن سلطان والشيخ راشد بن ســعيد، أثناء الإعداد للإعلان عــن قيام الدولة، ومن الثلاثيات التي آمن بها المغفور له الشــيخ راشــد، ويؤمن بها صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد، أيضاً، هي أن راشــد بن ســعيد قرّر منذ الأيــام الأولى من حكمه ثلاثة أشــياء اســتراتيجية للعمــل، الأول: مجالــس للبلدية والتجــار وغيرهم مــن الموهوبين، إذ لا غنى له عن عقول الآخرين، والثاني: صنــع القادة إذا ما وجدنــا القادة حولنا، والثالــث: القــادة الحقيقيــون هم مــن يمتلكون الأمــوال، فالاقتصــاد هو مُحــرك الساســة وليس العكس.

يقول صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد في كتابــه: «هذه الثلاثية نصائح من حكيم ومعلم أصبحت منهج حياة لي، وفلسفة حكم مع شعبي».

وهنــاك ثلاثية أخــرى تعبر عن أهــم منجزات الشــيخ راشــد بن ســعيد وهي: «ميناء جبل علي، ومصهر الألمنيوم، ومركز دبي التجاري العالمي».

الفارس

وفي الكتاب نقرأ عن علاقة صاحب الســمو الشيخ محمد بن راشــد، بالخيول، وحبه لها حد العشــق. ولا يزال ســموه يذكــر حصان والــده المعروف بـ «الصقــلاوي» الذي رباه الشــيخ راشــد بن ســعيد صغيراً، وكان يتنقل عليه في البلاد قبل أن يستخدم السيارة.

ومــن «الصقلاوي» إلى «أمّ حلــج»، وقصتها أن الشــيخ راشد بن ســعيد أراد أن ينظم سباقاً للخيل

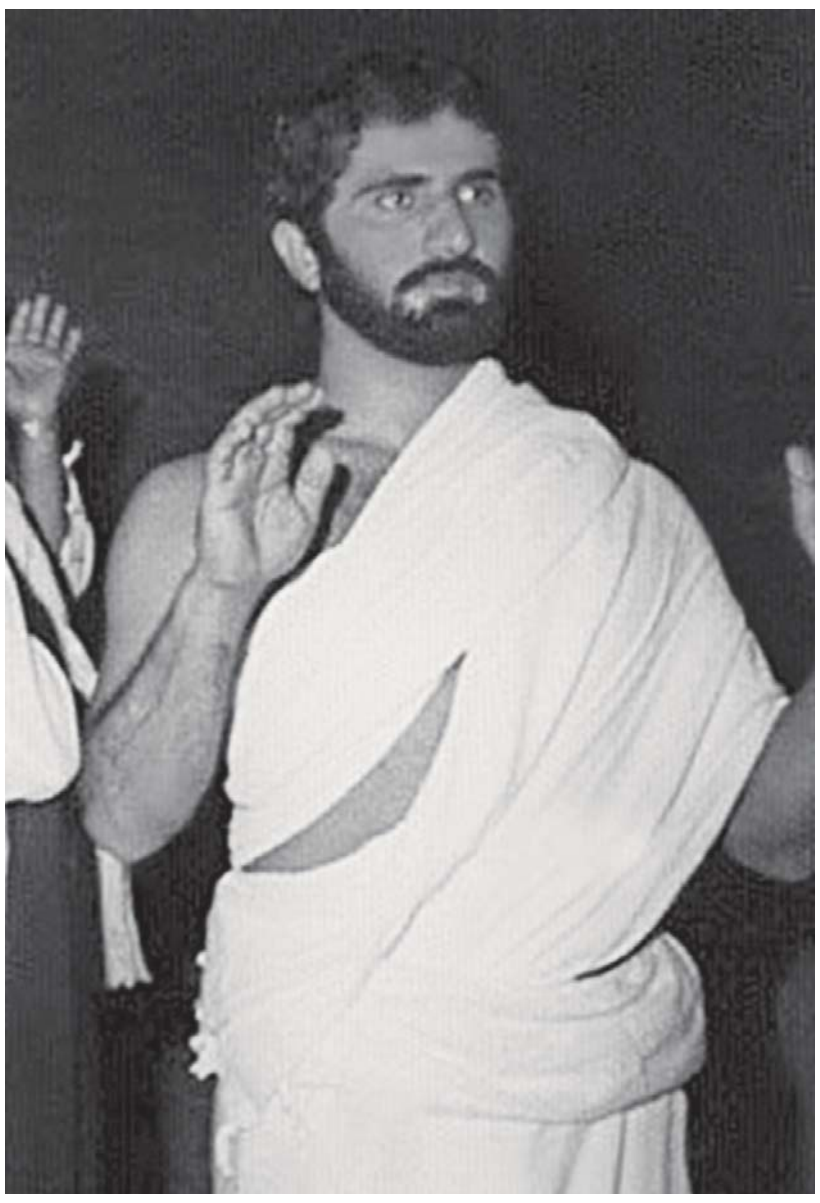

متواضعاً مع أفراد من شــعبه، وأين ذلك القصر من مكتب والدي في مجلسه المفتوح على خور دبي».

أقــول وفي مثــل هــذا الموقــف المتجرد من الروحانيــات، يســتحضر الإنســان حيــاة شــيخ المتصوفيــن الجنيد البغدادي الذي رؤي في المنام بعــد وفاتــه، فقيل لــه ماذا فعــل الله بــك يا أبا عبدالله؟ قال لقد ذهبت تلك الإشــارات، واختفت تلك العبارات، وفنيت تلك الرســوم، ولم نستفد إلا من ركيعات كنا نركعها وقت السحر.

نعم.. وألاحظ أن صاحب الســمو الشيخ محمد بن راشــد، وهو رجل له نظرته الفلسفية، يدور في فلك الثلاثيات أحياناً، فيعتقد أن بعض الأشياء فيما بينها تــلازم كتلازم لازم وملزوم، فنــراه مثلاً يؤمن بالثلاثيــة الأولــى التي هي: والــده والخيل ودبي، ويعتقد أنها مصدر عزته وقوته وسعادته.

والثلاثيــة الثانية التي تدور حــول كلمة لطيفة فيقــول في القصــة رقــم 5: «لطيفة هــي المرأة الناعمة والرقيقة والنــادرة، ولطيفة في الاصطلاح هي المقولة التي تشرح الصدر، ولطيفة في الحياة هي أمي ورفيقة درب والدي الشيخ راشد».

ويذكر صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد، ثلاثية أخرى عندما يتحدث عن جولات والده اليومية في دبي ومروره بالمشــاريع، فيقول عن فوائد هذه الجولات: «إشعار المقاولين بمغبّة التأخيــر، وتحفيزهم بهــذه الزيارة، ومنع الفســاد المالي، حيث إنه يضعهم تحت المجهر».

ثــم يذكر عن فرحته وفرحة الناس بالاتحاد الشــيء الكثيــر، في حين أن الإنجليز كانوا يتباطؤون بحجة أننــا غيــر قادرين علــى حماية أنفســنا، ولا بد من وجودهــم، وهنــا يذكر موقفاً طريفــاً يحمل الكثير من المعاني، وهو أن الشــيخ راشد بن سعيد التقى رئيس وزراء بريطانيا ويلسون عام 1969، لبحث هذا الملف، وبينما هما يتناقشــان أشعل الوالد غليونه، فأشعل ويلسون غليونه.

ورغــم أن الغليونيــن متشــابهان فــإن الغليون الإنجليــزي يبــدو أكبر، وفــي أثنــاء تدخينهما نظر ويلســون إلى الشيخ راشد بن سعيد، وقال «غليوني أكبر»، فقال الشــيخ راشــد مبتســماً: «صحيح لكن تبغي أقوى وأثقل من تبغك»، يقول صاحب السمو الشــيخ محمــد بــن راشــد: «عرفت بعــد ذلك أن الغليــون لم يكن مقصوداً، بــل أرادا أن يوصلا إلى بعضهما رسالة».

ويتحــدث الكتاب عــن الجهود الكبيرة للشــيخ زايد بن ســلطان، الذي كان يحاول أن يقيم الاتحاد التســاعي فــي البدايــة، لكن الخلاف على كرســي الرئاســة حــال دون ذلك، فقام الاتحــاد الثنائي ثم السباعي ورحل الاستعمار بعد 150 عاماً.

أحداث

كمــا تحدث الكتاب عن الحــرب العراقية الإيرانية، والثــورة الخمينيــة وقيــام مجلس التعــاون، وغزو العــراق للكويت، وكيف هبّت الإمارات للدفاع عن الكويت، وهنا يذكر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، فضل الكويت على الإمارات قبل قيام الاتحاد.

ولم ينس سموه، بعد ذلك أن يذكر أكبر المشاريع العملاقة في دبي التي كان الشــيخ راشــد يعتز بها، وهــي اليوم موضع فخرنا وهي الثلاثية: ميناء جبل علي، مصهر الألمنيــوم، مركز دبي العالمي.. وكيف صارت دبي وجهة العالم الاقتصادية.

يقول صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد، وبعد كل هذه النجاحات أثبتت دبي في عام 2014 أن مطارها يتخطــى مطار هيثرو، فكم كانت لحظة سعيدة يوم أعلنت الصحف البريطانية ذلك النبأ.

نعــم.. ولا تزال دبي تواصل نجاحاتها، وهي على يقين بأنها الأكفأ في العالم من خلال العمل بدستور دبي غير المكتوب وهو: الانفتاح على العالم، وفتح المجــال أمام الجميــع، والتنــوع الاقتصادي وعدم الاعتماد على مصدر واحد، والعدالة للجميع، وحكم القانون، والمنافسة الصحيحة.

و«طيران الإمارات» وحدها تكفي أن تضع اســم دبــي فــي المركــز الأول، ومطار آل مكتوم ســوف يكون الأكبر في المنطقة، وما رحل الشيخ راشد بن ســعيد إلا بعــد أن أخذت دبي مكانهــا في العالم، وقــد وقف مجلس الأمم المتحــدة دقيقتي صمت حزناً على موت الشيخ راشد بن سعيد، تقديراً لدوره في التنمية.

وها هو اليوم صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشــد، يثبت للعالم أن دبي ولدت كبيرة وســتظل كبيــرة، وكم من زعيم وكــم من دولة يتمنون اليوم أن يقيمــوا مدينة كدبــي عندهم، أو يكون عندهم مثل صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشد، لكن كما قال الشاعر:

أبــا الفضــل يــا مــن أســس الفضــل والإبــا
أبــى الــفــضــل إلا أن تــكــون لــه أبــا

نهج

بقلم: د. عارف الشيخ

نعم، رحل الشــيخ راشد بن ســعيد ورحل الشيخ زايــد بن ســلطان، أيضاً، لكــن نهجهما الســلمي والإنساني والتنموي باقٍ، ويقــول صاحب الســمو الشــيخ محمد بن راشد: «تعلمت من زايد البحث عن مســاحات الاتفاق لا الاختلاف، والمستقبل لا الماضي»، ويتمنى سموه أن يعود السلام إلى ربوع سوريا والعراق واليمن.

وفــي ختــام الكتاب، قــدم صاحــب الســمو الشــيخ محمد بــن راشــد 10 وصايــا، تمثل خارطــة طريــق لــكل مــن أراد أن ينجح في الإدارة الحكوميــة، وهــي: «اخــدم الناس، لا تعبد الكرســي، ضــع خطتك، راقب نفســك، اصنع فريق عملك، ابتكر أو انســحب، تواصل وتفــاءل، لا تكن من غير منافس، اصنع قادة، انطلق لبناء الحياة».

خلاصة

خلاصــة القول، إن الكتاب يحتــاج إلى قراءة متأنيــة منكــم أيها القــراء، ومــا قدمته من مســتخلص ما هو إلا إشــارة إلى بعض ما ورد فيه، وأستطيع القول إن الكتاب فيه الكثير من الموجهات والمبشرات والمؤشرات والمنبهات والمحــذّرات والمحفــزات والمولّــدات، التي يحتــاج إليهــا الوالــدان والمــدرس والمربي وأســتاذ الجامعة والطبيب والمهندس والعالم والقاضي ورجــل الأمن ورجل الفضاء والمدير والوزير والكاتب والأديب والمفكر والسياسي والفنان، في كل ميدان وحقل ومناسبة.

شكراً ســيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشــد آل مكتوم، على خمســين عاماً من العمل المضني، وأســأل الله أن يبقيك سالماً معافى لمصلحة الوطــن والمواطن والمقيم، ومــن مثلك يا ســيدي، فأنت العملــة النادرة والصعبة في هذا الزمن الصعب.